أحاديث وروايات تربوية، دراسة في ضوء نظرية المساءلة الحجاجية

د. علي عبد الوهاب الوردي

كلية التربية الأساسية/ الجامعة المستنصرية

Sayings and educational novels, Study in the light of the theory of accountability of argumentation

Dr. Ali AbdulWahab Alwardi
College of Basic Education\ Mustansiriya University
Baghdad - Iraq
dr.ali.alwardi83@gmail.com

Abstract

The words of the Prophet Muhammad are characterized by the fact that they are revealed by a person whom Allaah has seen as a great creation, and that they are sent to follow the verses and praise others and teach them the book and wisdom. This indicates the enjoyment of the morals and attributes of the Prophet Muhammad. Made him one of the most influential figures in the history of mankind, who was able in a short time in the calculations of time to transfer a whole nation from one situation to another, and at all levels, and as indicated by the verse: "Get you out of the darkness to the light," and this was not his To be on his hands if he did not have the bright argument and the ability to persuade in his conversations This is the focus of our research; we will stand on a group of the Prophet's educational speeches; to discuss the elements of its pilgrimage and its impact on the public from the mixing of linguistic and intellectual pilgrims with educational and moral concepts in the light of the theory of accountability which is one of the most important theories of contemporary pilgrims. He studies the energy of the Prophet's speech in the construction of educational concepts and Islamic ethics.

Key words: Saying , novel, argumentation.

الملخص

تتصف أقوال النبي محمد (ص) بأنها صادرة عن شخصية شهد الله تعالى لها بأنها على خلق عظيم، وأنها بُعثت لتتلو الآيات وتزكي الآخرين وتعلمهم "الكتاب" والحكمة، وهذا الأمر يدل على ما تمتع به النبي محمد من مكارم الأخلاق والصفات التي جعلته من أكثر الشخصيات تأثيرا في تاريخ البشرية، فهو الذي استطاع وفي مدة قصيرة في حسابات الزمن أن ينقل أمة كاملة من حال إلى آخر، وعلى جميع المستويات، وبما دلت عليه الآية الكريمة:" أخرجَكُم من الظلماتِ إلى النور"، وهذا الأمر ما كان له أن يتم على يديه لو أنه لم يملك الحجة الساطعة والقدرة على الإقناع في أحاديثه الشريفة، وهذا الأمر هو محور بحثنا؛ إذ سنقف على مجموعة من أحاديث النبي التربوية ؛ لبحث عناصر حجاجيتها وتأثيرها في الجمهور انطلاقا من التمازج بين عناصر الحجاج اللغوية والفكرية مع المفاهيم التربوية والأخلاقية في ضوء نظرية المساءلة التي تعد إحدى أهم نظريات الحجاج المعاصرة؛ أي أن البحث يدرس الطاقة الحجاجية للخطاب النبوي في بناء مفاهيم تربوية وأخلاقية اسلامية.

الكلمات المفتاحية: الحديث، الرواية، الحجاج.

المقدمة

شغلت أحاديث النبي الأعظم محمد (ص) الباحثين من مختلف الاتجاهات والمدارس الفكرية بل، والديانات ولاسيما الصحيح منها مما وافق ما ورد في كتاب الله العزيز قرآننا الكريم، والعقل الذي يعد المدرك الثالث من مدارك التشريع الاسلامي، وتتبع أهمية الأحاديث الشريفة من أنها صدرت من شخص يمثل وبكل تجرد وحيادية القدوة الحسنة للبشرية جميعا بغض النظر عن قومياتهم

وأديانهم، وهذا ما دفعني الى كتابة هذا البحث على وفق أحدث آليات تحليل الخطاب وهو دراسة حجاجيته، أي بمعنى الوقوف على عناصر الإقناع فيه عبر اعتماد أهم النظريات المعاصرة في الحجاج بما يتلاءم والخطاب المدروس، واتخذت الاحاديث التربوية ميدانا للدراسة بوصفها خير ما يمثل الحجاج في الحديث الشريف؛ لتوفرها على جوهر العملية الحجاجية وهي اقتناع المتلقي أو المخاطب بما يطرحه الخطيب من أفكار وآراء، مستلهما في ذلك عنوان المؤتمر العلمي الدولي الذي سيقدم فيه البحث، وهو (السيرةُ النبويةُ شرعةٌ ربانيةٌ بتوهجاتٍ إنسانية)، وانطلاقا من محور دراسة الحديث النبوي في ضوء المناهج اللغوية، وسينتظم البحث في محاور بحسب انتظام أفكاره، هي:

أولا: مفهوم الحديث والرواية

تنبغي الإشارة إلى أن أحاديث النبي الاعظم (ص) بل وأفعاله وتقريراته تمثل إحدى أهم الركائز التربوية التي يجب علينا أن ننهض بإيضاحها وبيانها للإنسانية جمعاء، وذلك الأمر يتم عبر اعتماد الموعظة الحسنة والخطاب بالتي هي أحسن مثلما أراد الله تعالى من غير تشدد أو تطرف مع ضرورة الأخذ بالجوانب المضيئة المتماشية مع الفطرة السليمة ومكارم الأخلاق التي جاء الاسلام ليؤكدها وتركزت عليها جهود النبي(ص)؛ والحديث الشريف هو ما ورد عن النبي من اقوال[1]، وقد ميز بعض العلماء بين مفهوم (الحديث) ومفهومين آخرين هما (الأثر)، و(الخبر)[2]؛ فـ(الحديث) مختص بما ورد عن النبي (ص) بخلاف الخبر فهو ما جاء عن غيره، وقيل بشأن ذلك: إن بينهما عموم وخصوص؛ فكل حديث خبر من غير عكس[3]، والأمر نفسه بشأن (الأثر) فهو ما روي عن الصحابة، ويجوز أن يطلق على ما يروى عن النبي(ص)[4].

ويلحظ الباحث أن هناك خلطا وقع فيه بعض المتقدمين؛ إذ أطلقوا مفهوم الحديث على كل ما روي عن النبي (ص) من قول أو فعل أو تقرير[5]، حتى قيل في تعريف علم الحديث: "هو علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى النبي قولا أو فعلا أو تقريرا أو صفة"[6]؛ أما الرواية فهي النقل، ورأى بعضهم أنها تطلق على فعل النبي وقوله[7]؛ وقد قسموا الحديث الشريف على قسمين: صحيح وسقيم[8]، فالصحيح: "ما سلم لفظه من ركاكة، ومعناه من مخالفة آية، أو خبر متواتر أو إجماع، وكان رواية عَدْل وفي مقابلته السقيم"[9].

ثانيا: الحجاج عبر العصور

تعد دراسة الحجاج في الخطابات والنصوص أحدث آليات تحليل الخطاب؛ بوصفه العلم الذي يدرس وسائل الإقناع التي ترد في خطاب ما؛ فالحجاج ينبني على جملة معطيات في الخطاب لغوية وغير لغوية للوصول إلى إقناع المتلقي؛ ولعلنا لا نجد مفهوما مرَّ بمراحل تطور منذ ما عصر ما قبل الميلاد وتحديدا منذ أن طرح فلاسفة اليونان تصوراتهم عنه وصولا إلى عصرنا الحاضر كمفهوم الحجاج؛ فقد شغلت هذه الآلية أذهان العلماء من شتى الاختصاصات وبخاصة الفلاسفة ثم المتكلمون المسلمون وعلماء الجدل والخطابة منذ عصور ما قبل الميلاد وصولا إلى يومنا هذا، والوقوف على آرائهم مما ليس محله بحثنا؛ لاتساعه نوعا ما، ولأنه بحث

(1) ينظر في ذلك: الكليات: 370، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 627.
(2) ينظر في ذلك: الكليات: 370.
(3) ينظر في ذلك: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(4) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(5) ينظر في ذلك: المصدر نفسه: الصفحة نفسها، و كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : 627.
(6) الكليات: 370.
(7) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 875.
(8) ينظر: التعريفات: 74.
(9) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

ضمن دراسات أخرى متعددة[1]؛ لذلك سأتناول النظرية التي سأعتمدها في دراسة الخطاب النبوي، وهي نظرية المساءلة على نحو مباشر.

ثالثا: المساءلة الحجاجية...مفهوم وتطور

تعد نظرية المساءلة الحجاجية من أهم النظريات المطروحة لتحليل الخطاب حجاجيا، والملاحظ أنَّ مفهوم المساءلة شغل العلماء منذ أرسطو؛ وارتبط هذا المفهوم على نحو وثيق بـ(صناعة القول) التي طرحها أرسطو عند بحثه ما يعرف الآن بـ(الوحدات الحجاجية الكبرى)[2]، وهاتان الوحدتان الكبريان بحثهما في كتابي(المواضع)، و(الخطابة)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن مادة كتاب المواضع تتمثل بالجدل[3]؛ وقد عبَّر ابن رشد(ت 595هـ) عن الجدل بأنه:" الصناعة التي نقدر بها إذا كنا سائلين أن نعمل من مقدمات مشهورة قياسا على إبطال كل وضع يتضمن المجيب حفظه، وعلى حفظ كل وضع كلي يروم السائل إبطاله إذا كنا مجيبين"[4]؛ أما الخطابة فقد قال عنها الفارابي(ت339هـ): "صناعة قياسية غرضها الإقناع في جميع الأجناس العشرة"[(5)]، فكلٌّ من الخطابة والجدل صناعة، ومفهوم (صناعة) يعني أنَّ لها قواعدَ يجب أن تراعى، ومراعاة هذه الأسس تقود غالبا إلى اقتناع المتلقي وهو جوهر الخطابة، أو تبكيته وإسكاته وهو الجانب الرئيس في الجدل؛ وصناعة الأقاويل الجدلية والخطابية تبنى حيث يكون الخلاف والنزاع[6]، والخلاف هو أساس التساؤل ومنجمه[7]؛ وقد تنبه إلى ذلك فلاسفتنا؛ فابن رشد يشير إلى أن "المقدمة الجدلية قول يتسلم بالسؤال ليجعل جزء قياس"[8]؛ بل انه خصص القول في المقالة الثامنة من كتاب أرسطو لتفصيل الحديث عن آليات السؤال والجواب في الجدل والفرق بين السؤال الجدلي والسؤال البرهاني وعن الأقيسة المنطقية وبناء مقدماتها، وطرح وصايا للسائل عند خوضه غمار الجدل مع العوام ومع المختصين[9]، وصولا إلى الهدف الرئيس من الخطابة الجدلية وهي إقناع المتلقي بمادة الجدل.

أما ابن سينا(ت 427هـ) فقد بحث على نحو تفصيلي في كتاب الخطابة ضمن مجموعة مصنفاته (الشفاء) أثر التساؤل في العنصر الثاني من عناصر الصناعة القولية وهو الخطابة، فذكر أن التساؤل يطرح أحيانا في الخطبة لإلزام السامع بما يريده الخطيب عبر مسار الإجابة[10]؛ وللتساؤل في ذلك فوائد منها أن الخطيب قد يطرح تساؤلا عاما إن أجاب المتلقي عنه بـ(نعم) يكون ملزما أو أجاب بـ(لا) كان ذلك أو ما يلزم عنه مستنكرا وقبيحا عند الجمهور أو بالعكس[11]، فضلا عن أن الخطيب قد يعمد عند ابن سينا إلى إيقاع خصمه في ما استطيع أن أعبر عنه بفوضى الإجابة؛ لأنه إن أسهب في الإجابة عن التساؤل أوهم أنه وقع في الهذيان والإطالة، وإن اختصر الإجابة ألزم واتهم بأنه لم يجب بما يلزم[12].

وبعد أن تطورت قضية المساءلة، وأهمية السؤال في صناعة الأقاويل ولا سيما في الجدل والخطابة على يد فلاسفة المسلمين نهضت في العصر الحديث على يد(ميشال مايير)، وهو من أهم منظري الحجاج المعاصر، ويمثل في آرائه منحى الحجاج الفلسفي إلى جانب مناحي الحجاج ومناهجه الأخرى كالمنطقي عند تولمين، والقانوني عند برلمان وتيتيكاه، واللساني عند ديكرو، إلا أنه يقدم

(1) ينظر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر: كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج: 29- 103، والخطاب الحجاجي، أنواعه وخصائصه: 37- 62، وبلاغة الإقناع في المناظرة: 25- 120.
(2) ينظر في ذلك: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: 169، وبنى الحجاج في نهج البلاغة، دراسة لسانية: 23.
(3) ينظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: 169.
(4) تلخيص كتاب الجدل: 29.
(5) الخطابة، الفارابي: 7، والمقولات العشرة، هي: الجوهر، والكم، والمضاف، والكيف، والأين، ومتى، والوضع، والملك، وأن ينفعل، وأن يفعل، ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(6) ينظر في ذلك: الشفاء: 4/ 53.
(7) ينظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: 122.
(8) تلخيص كتاب الجدل: 42.
(9) ينظر في ذلك : المصدر نفسه: 199- 249.
(10) ينظر: الشفاء- المنطق- الخطابة: 8/ 245- 246 .
ينظر: المصدر نفسه: 8/ 246. (11)
ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها. (12)

مقاربة للحجاج قريبة جدا مما طرحه ديكرو لسانيا؛ وهو في ذات الوقت ينطلق من مقاربة برلمان الحجاجية؛ إذ إن جوهر مبحثه الحجاجي يقوم على تحليل الاستعمال اللغوي وإخضاعه للمزاوجة بين مفهومي(السؤال، والجواب)، يقول مايير: "بما أنَّ الوحدة الأساسية للغة هي الزوج سؤال/ جواب فإن استعمال اللغة يحدد دائما تبعا له"[1]؛ وأرى أنه بهذا الطرح يتماهى مع مقاربة ديكرو للحجاج.

أما تماهيه مع مقاربة برلمان فتكمن في تبنيه آراءه الفلسفية وتوظيفها حجاجيا ضمن مشروعه[2]؛ وقد انطلق مايير من أن العقلانية الأوربية عانت انهيارات متتالية في القرن العشرين قادت إلى حربين كبريين متتاليتين تارة وإلى العدمية تارة أخرى، وذلك يعود إلى أن هذه العقلية انبنت على عدم التناقض والمقتضى الثابت الموروث منذ زمن أرسطو[3]، وحتى خروج المشروع الديكارتي على ثوابت المنطق الموروثة وطرحه نفسه بديلا عنها عبر مبدأ الشك للوصول إلى اليقين عد ضربة كبيرة وجهت إلى الحجاج[4]؛ لأن الحقيقة عند ديكارت لا تكون إلا بديهية وإذا وقع الاختلاف بين رأيين فأحدهما صواب والآخر خطأ بالضرورة أو أن كلا الرأيين على خطأ ولا يمكن البتة أن نحتج لرأيين مختلفين[5]، وعلى الرغم من أن الديكارتية قدمت نفسها بديلا عن الأرسطية، وبوأت الذات المفكرة موقع الضامن لعملية التفكير فإن هذه الذات ظلت متعالية تلغي أي مساءلة[6]، وحتى الشك الديكارتي هو وسيلة للإثبات[7]، فهذه الذات الأوربية مشدودة بتعبير مايير إلى وهم الذات الخالصة[8]، وفي خضم ذلك طرح مايير مشروعه القائم على(المساءلة) بوصفها البديل الذي يعيد للفلسفة وظيفتها الأولى وأن تسترجع طابعها الإشكالي، فالسؤال أصل الفلسفة وعنه نشأت نظرياتها[9]، وتوجهه الفلسفي جعل مشروعه ينفتح على ثلاثة محاور تقوم على الفلسفة واللغة ونظرية المعنى[10]؛ فنظريته تأويلية عبر بحثها علاقة السؤال بالجواب وما يتطلبه ذلك من تأويل لمكونات كل منهما، وتداولية عبر بحثها ظروف إنجاز الخطاب وآلياته، وبلاغية عبر ربطه إياها بالحجاج[11]؛ والحجاج عنده" هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه[12]، وهو كما أسلفت يقوم على المساءلة التي تداخلت بين الفلسفة والتداولية والتأويل.

ولابد لي هنا أن أطرح تساؤلا عن إمكانية الاستفادة من مفهوم المساءلة في نهضة المجتمعات النامية ولاسيما مجتمعاتنا الاسلامية والعربية ما دمنا قد أشرنا إلى ظهور مفهوم المساءلة بقوة على يد مايير في العصر الحديث؛ لأن البحث الأكاديمي يجب أن يتصدى إلى مشكل ما ليكون حيويا وعلى صلة بهموم الباحثين والجمهور، وذلك أفضل من أن يرقن البحث في زاوية المكتبة ولا يستفاد منه؛ فأوربا ومع كل التطور الذي مكنها من احتلال دول كثيرة في آسيا وأفريقيا والامريكيتين في أواخر القرن التاسع وبداية العشرين إلا أن مفكريها أو بعضا منهم نهضوا ليبحثوا على نحو واقعي وعميق أسباب وقوع مشكلات وحروب في بلدانهم، ثم ليطرحوا رؤاهم ويتناظروا منطلقين في ذلك من عنصر التساؤل لكي يصلوا إلى حلول لتلك المشكلات، ومجتمعاتنا وشعوبنا أولى بالمساءلة عن كل شؤونها وفي مختلف تخصصاتها وميادينها فنحن في احسن الأحوال مازلنا نحبو بل حتى ما تحقق من انجازات فكرية وعمرانية خلال

(1) الحجاج، مفهومه ومجالاته: 5/ 32.
(2) ينظر في ذلك: الحجاج في البلاغة المعاصرة: 137- 138.
(3) ينظر في ذلك: بلاغة الإقناع في المناظرة: 103.
(4) ينظر: الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه: 19، وبنى الحجاج في نهج البلاغة، دراسة لسانية: 57.
(5) ينظر: الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه: 19.
(6) ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة: 104.
(7) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(8) ينظر : المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(9) ينظر في ذلك: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: 389.
(10) ينظر: المصدر نفسه: 394، والحجاج في البلاغة المعاصرة: 138.
(11) ينظر في ذلك: المصدر نفسه: الصفحة نفسها؛ وتجب الإشارة إلى أن استعمال مصطلح (بلاغي) في الدرس اللساني الحديث يكون بناء على أن مفهوم (البلاغة) في الدراسات اللسانية المعاصرة يختلف عن مفهومها عند علمائنا القدماء فهي في الدرس اللساني المعاصر تعني الخطابة الجديدة في الفكر الحجاجي.
(12) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: 37.

بعض سنوات الهدوء في هذه الدولة أو تلك من دولنا الاسلامية والعربية سرعان ما انكفأ وانكشفت العيوب في هذه المنجزات لأنها لم تؤسس على وفق أطر صحيحة ولم تطرح من قبل خبراء واكاديميي بل هي أقرب ما تكون إلى اجتهاد أو نزوة للحاكم.

وفي سياق مشروع المساءلة الذي أرى أنه عامل رئيسي في نهضة مجتمعاتنا العربية والاسلامية لو أردنا لها ذلك أود أن أنوه إلى أن الثقافة الاسلامية وعبر مختلف ميادينها عانت منذ بواكير نشأتها ثم نضجها واكتمالها من عقدة – لو جاز لي التعبير – الشعور بالاكتمال المؤسَّس على دعوى امتلاك اليقينية، وهذا الشعور تولد من سيادة الخطاب البرهاني لدى علماء مختلف الفنون والعلوم الاسلامية؛ ويظهر لي أن سبب ذلك هو أن المسلمين منذ عصرهم الأول قد بنيت ثقافتهم على قيم البرهان وما طرحه الله تعالى في كتابه عن هذا المفهوم؛ فقد ورد لفظ (البرهان) ثلاث مرات في القرآن الكريم، المرة الأولى تحدثت عن مجيء البرهان من الله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ) [1]، والثانية تحدثت عن يوسف ورؤيته برهان ربه:(لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ)[2]، والمرة الثالثة تحدثت عمن يتخذ إلها آخر غير الله في قوله تعالى: (وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ)[3]، مرتبطا بما يجب أن يستحضره الإنسان من برهان إن اتخذ غير الله ربا، وفي هذه الآية معنى مضمر هي أنها تفترض مسبقا وجود برهان على ألوهية الله تعالى، وهو ما يقتضي ويستلزم الإتيان ببرهان مغاير إن اختار الفرد إلها آخر؛ ويبدو أنهم تأثروا بما ورد في القرآن الكريم فراحوا يصورون آراءهم على أنها برهانية لا تقبل الشك فضلا عن النقض، وهذا الأمر يبدو أنه فيما بعد صار أحد أهم أسباب شيوع ثقافة حوار الدم والسيف بين الفرق والطوائف المختلفة، فما دام كل منهم يعتقد أنه يملك الحق وخطابه الذي يوظِّفه في مخاطبة الآخر يفترضه برهانيا؛ فالنتيجة هي الصراع وإراقة الدماء وتكفير الخصوم، ولن تستطيع مغادرة هذا الواقع إلا بتفعيل مبدأ المساءلة للتراث أولا، واحترام الآخر أيا كان انتماؤه ثانيا؛ للوصول إلى مجتمع يتعيش فيه الناس على اختلاف آرائهم ومذاهبهم.

رابعا: تساؤل أم استفهام؟

أشير في هذا المحور إلى مفهوم المساءلة لتمييزه عن مفهوم الاستفهام؛ نظرا إلى وجود نوع من اللبس أو التداخل بينهما في تراثنا؛ فالدرس اللغوي والنحوي عرف مصطلح الاستفهام وهو ما نجده مبثوثا في كتب النحو والبلاغة والدراسات المرتبطة بهذين المحورين ولاسيما ما نجده لدى المفسرين؛ أما الدراسات الفلسفية قديما وحديثا فقد انطلقت من مصطلح السؤال ولم تستعمل مصطلح الاستفهام، وهذا بدوره يلزمني ببيان الفرق بينهما؛ لغة واصطلاحا؛ لإبداء رأي في ضرورة تصحيح الاستعمال الوارد في الميدان اللغوي وما يرتبط به من دراسات قرآنية؛ فالاستفهام لغة هو طلب الفهم، قال الراغب الأصفهاني(ت502هـ): "الاستفهام أن يطلب من غيره أن يفهمه"[4]؛ وقال ابن منظور(ت 711هـ):"الفهم معرفتك الشيء بالقلب... واستفهمه سأله ان يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيما"[5]؛ اما اصطلاحا فهو :"استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور"[6]، وورد مصطلحان آخران مرادفان للاستفهام، هما الاستعلام والاستخبار، قال ابن يعيش(ت643هـ): " إن الاستفهام والاستعلام والاستخبار بمعنى واحد فالاستفهام مصدر استفهمت، أي: طلبت الفهم. وهذه السين تفيد الطلب، وكذلك الاستعلام والاستخبار مصدرا استعلمت واستخبرت"[7]؛ فجوهر هذه المصطلحات واحد هو طلب علم شيء مجهول، أما التساؤل أو المساءلة وهي أساس بحثنا فهي إشكال وطلب وليس استفهاما او استخبارا بل أعم منهما؛ أمَّا (المساءلة) فهي مشتقة من (سأل) الذي يعني لغة : الطلب، ومنه سمي السائل طالبا[8]؛ واصطلاحا قريب

(1) النساء: 174.
(2) يوسف: 24.
المؤمنون: 117. (3)
مفردات ألفاظ القرآن (فهم): 646. (4)
لسان العرب (فهم): 12/ 459. (5)
التعريفات: 22.(6)
(7) شرح المفصل: 8/ 150، وينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية: 398.
(8) ينظر : لسان العرب(سأل) : 11/ 318- 319.

من ذلك؛ فالسؤال: "طلب الأدنى من الأعلى"[1]، والفعل (سأل) إن تعدى بالحرف كان بمعنى الاستخبار وإن تعدى بنفسه كان بمعنى الطلب[2]؛ ففي كلا الحالينِ تختصُّ هذه الصيغة بالطلب بخلاف (الاستفهام) الذي يعد أخصَّ من تلك الصيغة فهو يعني طلب الفهم؛ إذن العلاقة بين السؤال والاستفهام علاقة عموم وخصوص؛ لأن الاستفهام خاص بطلب الفهم، أما السؤال فعامٌ يخصصه طلب ما يرد في سياق النص؛ لذلك نرى أن المساءلة مصطلح فلسفي شغل أذهان الفلاسفة والمتكلمين في مختلف العصور وصولا إلى عصرنا الحاضر؛ والبحث في التساؤل الحجاجي بدأت مباحثه وأسسه على يد أرسطو الذي بحث السؤال[3]، ودرس النمطينِ الحجاجيينِ الرئيسينِ اللذين يقومان على التساؤل، وهما المناقشة الجدلية، والخطبة إذ لا ينشآن إلا حيث يكون خلاف أو صراع[4]؛ إذ يستمد الجدل مادته من موضوعات تتطلب مناقشة منطقية، كما أنَّ مهمة الخطابة هي التشاور في أمور يبدو أنَّها تتبثقُ في اتجاهين[5]، والخلاف هو مصدر السؤال "سؤال الاختيار بين رأيينِ يقعان في مسألةٍ واحدة في اتجاهينِ مختلفين"[6].

وتبع أرسطو فلاسفة المسلمين الذين بحثوا أهمية السؤال في إقناع المتلقي وهو جوهر عملية الحجاج، كابن رشد(ت 595هـ) الذي فصَّل القول في السؤال وعناصره وطرائق بنائه والعلاقة بين السائل والمجيب وأثر كل ذلك في التواصل الإقناعي[7]، ولا أريد الخوض في خصائص البحث الحجاجي لدى فلاسفتنا القدماء؛ لأن نهضته كانت في العصر الحديث على يد اللسانيين الذين بحثوه من جوانب مختلفة، ومنهم مايير الذي قدم رؤيته في البحث الحجاجي منطلقا من مفهوم المساءلة عبر ركنين أساسيين هما (المُظهَر)، و(المُضمَر)؛ فالمُظهَر والمضمَر يمثلان (الزوج) الرئيس للاستعمال اللغوي، وهما ركنا الخطاب واستعمال اللغة مرتبط دائما بالتساؤل[8]؛ ومن هنا جاءت تسمية نظرية (مايير) (بالمساءلة الحجاجية)، وفي ذلك يقول (مايير) :"بما أنَّ الوحدة الأساسية للغة هي الزوج سؤال/ جواب فإنَّ استعمال اللغة يُحدَد دائما تبعا له"[9]، وسبق أن وقفت على مفهوم المساءلة الحجاجية أثناء دراستي لحجاجية خطاب نهج البلاغة لكنها لم تكن على نحو مفصل بسبب طبيعة الدراسة ومعالجتها المختلفة، وهو

والبحث سينطلق من الرؤية التي قدمها مايير في تحليل الخطاب حجاجيا بغية إقناع المتلقي؛ إذ غاية أي خطاب تواصلي بين طرفين هو إقناع الآخر بمضمون الخطاب؛ لأن الحجاج بحسب نهضته في العصر الحديث هو دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو ترسيخ ذلك التسليم[10]، والخطاب الإقناعي عنده يقوم على دراسة العلاقة القائمة بين القول المُظهَر، والقول المُضمَر في إطار ثنائية الإشكال/ السؤال، والجواب[11]، ونتائج ما توصل إليه مايير تكمن فيما يأتي[12]:

1. كل استعمال للغة يمثل جوابا عن مشكل، حتى عندما يتعلق الأمر بالتعبير عنه.
2. إذا كانت الغاية من كل حل هي عرض الجواب فإنَّ المشكل الذي استوجبه لن يطرح البتة بعد أن يقترح له؛ لذلك فإن غاية اللغة لا تتمثل في التعبير عن المشاكل بل في التعبير عن حلولها، ويلزم عن هذا أن التقابل (حل/ مشكل) يطابق التقابل القائم بين المُظهَر والمُضمَر.

(1) التعريفات: 106.
(2) لسان العرب(سأل):319/11 .
(3) ينظر : الخطابة، أرسطو: 249.
(4) ينظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: 122
(5) ينظر: الخطابة، أرسطو: 32
(6) أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: 122
(7) ينظر: تلخيص الجدل: 199 – 249.
(8) ينظر: الحجاج، مفهومه ومجالاته: 5/ 31 .
(9) الحجاج، مفهومه ومجالاته: 5/ 32
(10) ينظر: كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج: 84، وبلاغة الخطاب وعلم النص: 92.
(11) ينظر: الحجاج، مفهومه ومجالاته: 5/ 24.
(12) المصدر نفسه: 5/ 32.

3. إنَّ الإجابة باللغة والالتجاء إلى المُظهر للبت في أيما مشكل معناه بناء صورة ما، وهذهِ الصورة، من حيث إنَّها لغة، هي ما به يرتسم التمييز بين المشاكل والحلول؛ لذلك فهي تقيم حاجزا بينهما بموجبِ الخط الفاصل بين المضمر، والمظهر.
4. عندما نجيب عن مشكل ما بالتعبير عنه، فإنَّ هذا الحل الجزئي الذي يستدعي على نحو صريح حلا مكملا يُرتسَم صوريا بوصفهِ حلا جزئيا.

وهو ما سنتمثله في جملة من الأحاديث النبوية الشريفة ذات المنحى الأخلاقي والمبثوثة في المصادر الحديثية المختلفة، وانطلاقا من هذه الرؤية الشاملة في دراسة الخطاب سواء أكان مبدوء بأداة تساؤل أو ما يعرف – وهو محل نظر – في تراثنا النحوي بأداة استفهام، أم كان من قبيل أنماط التركيب الأخرى ولاسيما الخبرية منها، وسأبدأ بالتساؤلية.

أولا: المساءلة الحجاجية بأداء التساؤل

وفي هذا النمط نجد أن العنصر الرئيس في النص كان التساؤل المشكِّك الذي يبتغي من المتلقي الإجابة عنه ثم ما يترتب على ذلك من إقناع له أو اقتناع بما يطرح فالعلاقة بين الظاهر (السؤال) والمضمر (الجواب) ستكون واضحة في هذا الميدان وهي محور التواصل اللغوي بما يتضمنه من عناصر، و سنورد جملة من الأحاديث المبنية على أدوات التساؤل المختلفة، ومنه قوله (ص) لسرية من المقاتلين عند عودتهم من إحدى المعارك:" مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟، قال: جهاد النفس"[(1)]، فالحديث بني على ما تحمله "ما" من إشكال طرحه الجمهور على الرسول متسائلين عن الجهاد الذي هو أعظم من مواجهة الأعداء، فكانت الإجابة كاشفة عما هو أهم من ذلك؛ فالعلاقة بين الظاهر والمضمر في مفهوم مايير كانت واضحة من السؤال والجواب فالتساؤل كان ظاهرا ومباشرا قاد إلى المضمر وهو الجواب الذي قدمه النبي.

ومما ورد بـ(ما) إن قوما من أصحاب النبي (ص) لما نزل قوله تعالى:" وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجعَل لَّهُ مَخرَجا وَيَرزُقهُ مِن حَيثُ لَا يَحتَسِبُ"[(2)]، "أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا قد كُفينا، فبلغ ذلك النبي (ص) فأرسل إليهم ما حملكم على ما صنعتم؟، فقالوا: يا رسول الله تكفل الله بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقال: من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب"[(3)]؛ إذ يلحظ الباحث أن التساؤل بـ(ما) خلق طاقة النص الحجاجية بناء على ما طرحه النبي من تساؤل قاد إلى اقتناع القوم بأن طلب الرزق هو معيار قبول العبادة، فالتساؤل الظاهر قاد إلى إجابة ظاهرة ونص إلزامي بضرورة العمل.

ومن التساؤل الذي يحمل المتلقي على الاقناع، قول النبي (ص) خاطبا في المدينة : "ليقولن له ربه، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك؟"[(4)]، فالنبي استثمر التساؤل لتصوير موقف العبد بين يدي ربه وهو يسأله عن موقفه مما بلغه به النبي وما آتاه الله من فضله من أموال وكيف أنفقها؟؛ فعنصر الإقناع بني على ما تضمنته الهمزة من إشكال يلزم المتلقي بالإقرار بالتقصير اتجاه ما أنعم الله به عليه.

ومن التساؤل الذي يقود إلى الإقناع ما ورد بالهمزة تساؤلا عما قام به أحد أصحاب الإمام الصادق(ع) الذي ترك العمل وتفرَّغ للعبادة، فقال:" ما فعل عمر بن مسلم؟، قلت: جُعِلت فداك أقبل على العبادةِ وترك التجارة، فقال: ويحه، أما علم أنَّ تارك الطلب لا تستجاب له دعوةٌ؟"[(5)]، ويظهر للباحث أن التساؤل بالهمزة التي تعني التصديق في النص يقود بالضرورة إلى إقناع المتلقي عبر الإجابة بـ(نعم) بما يطرحه الخطيب في التصورات الحجاجية.

(1) وسائل الشيعة: 15/ 161، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: 6:/132.
(2) الطلاق 2- 3.
ينظر: الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع: 11/ 8، والأربعون حديثا: 613. (3)
(4) سيرة النبي، ابن هشام : 347/2، والبداية والنهاية: 3/ 260.
(5) الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع: 11/ 8.

ومن المساءلة بالهمزة ما روي من أن الإمام الصادق قال حاثا المسلمين على التوادد والمحبة: "أما علمت أن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا بين إبهاميهما مائة رحمة، تسعة وتسعون منها لأشدهما حبا لصاحبه، فإذا اعتنقا غمرتهما الرحمة"[1]، فإجابة المتلقي هنا تمثل المضمر، والسؤال هو الظاهر من النص وحركة النص تصل بالمتلقي إلى القناعة بما يعرض عليه من أفكار.

ومن التساؤل الحجاجي ما روي عن النبي (ص) من أنه قال: "أبى الله عز وجل لصاحب الخلق السيء بالتوبة، قيل: فكيف ذلك يا رسول الله؟، قال: لأنه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه"[2]، وقد ذكر النحاة أنَّ(كيف): "اسم يُسأل بهِ عن الحال"[3]، ويظهر من النص أن السؤال وقع من القوم للنبي بعد أن ساق قبلها جملة تعد خبرية بحسب المفهوم اللغوي القديم؛ فالإخبار ولد تساؤلا لدى الجمهور المتلقي استدعى إجابة من النبي(ص) تتضمن عنصر الإقناع عبر تعليل الإجابة بأن الخلق السيء يؤدي بصاحبه في كل مرة إلى ارتكاب أخطاء أكبر من التي تاب عنها، وهذا ما يوجب ترك سوء الخلق.

ومن التساؤل الحجاجي بـ(كيف) ما ورد عن سؤال للإمام الصادق(ع) من قبل أحد أصحابه " قلت: لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا، في ظلة خضراء، نسبحه ونقدسه ونهلِّله ونمجده وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم"[4]؛ فهذا الحديث أو الرواية عن المعصوم قامت على عنصر التساؤل بـ(كيف) عن مبدأ خلق النبي(ص) ومعه أهل بيته من أهل العصمة، والإجابة تستثير المتلقي عبر توليد تساؤل مضمر يقود بالضرورة إلى إجابات متعددة تدخل جميعا في مفهوم المضمر؛ إذ قد يبادر المتلقي إلى التساؤل عن مكانة النبي وأهل بيته المعصومين عند الله بموجب هذه الرواية فتكون الإجابة بالحث على التفكر في عظمة منزلتهم ومكانتهم وما يقتضيه ذلك من ضرورة توقيرهم وبيان فضائلهم والتحلي بأخلاقهم وغير ذلك.

ومن التساؤل الحجاجي الذي يستهدف إقناع الجمهور ما روي عن النبي(ص) أنه سئل: "أي الصدقة أفضل؟ قال : على ذي الرحم الكاشح"[5]، فالتساؤل مع الإجابة شكَّل الجانب الظاهر من عملية الخطاب الحجاجي، وهو المفتاح إلى المضمر منه، وهو ضرورة الالتفات إلى الفقراء من ذوي الأرحام وتعهدهم بالرعاية فهم أولى بالإحسان من غيرهم مرسخا بذلك المفهوم المتداول القائل: الأقربون أولى بالمعروف.

ومن التساؤل الحجاجي بـ(أي) التي رأى النحاة وباستقراء النصوص أنها لا تختص بدلالة معينة كسائر أدوات الشرط فإن أضيفت إلى مكان كانت ظرف مكان وغير ذلك فضلا عن أنها الوحيدة من بين أدوات الشرط معربة[6]، ما روي عن الصادق أنه قال:" أيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ مِنَ الْغَضَبِ؟، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ فَيَقْتُلُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّه ويَقْذِفُ الْمُحْصَنَةَ"[7]، فالنص يتساءل على نحو تقريري عن أيِّ شيء أشد من غضب الإنسان على نفسه، ثم يترك الإجابة إلى المتلقي بعد أن يبين عن طريق ما يعرف بـ(الضامن) في مفهوم تولمين الحجاجي[8]، وعبر توكيد النص أن الغضب يؤدي إلى القتل واتهام المرأة بارتكاب الزنا، وهنا لابد من الإشارة إلى أنَّ النص ساوى بين الفعلين وهو ما يدل على شدة سوء قذف المرأة بارتكاب الرذيلة وآثار هذه التهمة اجتماعيا ونفسيا.

(1) مستدرك الوسائل: 9/ 67، ومعجم رجال الحديث: 213/3.
(2) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: 346.
(3) المقتضب: 289/3.
(4) الكافي: 441/1.
(5) المصدر نفسه: 4/ 10، ومن لا يحضره الفقيه: 2/ 68.
(6) ينظر: همع الهوامع: 4/ 318- 312.
(7) الكافي: 303/2.
(8) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: 22- 23، ومفهوم تولمين هو أحد أهم مفاهيم الحجاج المعاصر وهو أقرب إلى التحليل المنطقي منه إلى التحليل اللغوي.

ثانيا: التساؤل الحجاجي من غير أداة

ويلحظ الباحث أن القسم الآخر من أنماط الخطاب المبني على مفهوم التساؤل الحجاجي لم يكن مبدوء بأداة تساؤل بل كان من قبيل ما يعرف تاريخيا في البلاغة العربية بالجمل غير الإنشائية، وهي الداخلة عندهم في النمط الخبري؛ لأن الكلام عندهم" أما أن تكون نسبته بحيث تحصل من اللفظ موجدا لها من غير قصد إلى كونه دالا على نسبة حاصلة في الواقع بين شيئين وهو الإنشاء، أو أن تكون نسبته بحيث يقصد أن لها نسبة خارجية تطابقه أو لا تطابقه وهو الخبر"(1)؛ فالخبر إذن هو حديث عن شيء نستطيع التأكد منه أما الإنشاء فهو مما يكون غير حاصل وقت الحديث(2)، واضطرهم ذلك إلى تقسيم الإنشاء على قسمين طلبي، وغير طلبي(3)؛ لوجود جمل ونصوص تخرج عن إطار الإخبار الذي لا يترتب عليه إنشاء أو إنجاز – بتعبير المحدثين– فعل أو حدث ما بل يترتب عليها حدث معين كألفاظ العقود وغيرها وهو ما تنبه إليه اللغويون القدماء(4)؛ ووردت نصوص متعددة بنيت على مفهوم المساءلة من غير أن تتصدر بأداة التساؤل وكان منها ما هو بسيط ومنها ما هو مركب أي مبدوء بأداة ما من قبيل الشرط أو التوكيد كما أن منها، أما التقسيم إلى خبري وإنشائي فلن نعتمده؛ لأن الدرس اللساني الحديث ولاسيما التداولي رفض القول بالجانب الإخباري في الاستعمال الكلامي؛ فكل استعمال للغة يمثل إنجازا أو إنشاء لحدث ما(5)، وبذلك تدخل مختلف أنماط الاستعمال اللغوي في قائمة ما يعرف لسانيا اليوم بـ(الانجازيات) أو أفعال الكلام، ولو تتبعنا الاحاديث الشريفة لوجدنا أن نسبة كبيرة منها انبنت على عنصر الإخبار أو التقرير كما الطلب وكلا الاستعمالين يؤديان إلى إقناع المتلقي بفحوى الخطاب عبر عنصر التساؤل القائم على حركة الظاهر/ المضمر في الخطاب؛ فالنص بذاته هو إجابة عن تساؤل مضمر أو إشكال مطروح.

ومن النصوص التي نستطيع تحليلها على وفق مبدأ المساءلة، والمتضمنة ما أستطيع أن أعبر عنه بـ(التشارط الحجاجي)، وفيه يتألف الخطاب الحجاجي من تركيب الشرط ويكون بجزأيه مؤديا دلالة الظاهر والمضمر عبر الخطاب، وذلك كقول النبي(ص): "ما من مؤمن إلا ولقلبه في صدره أذنان، أذن ينفث فيها الملك، وأذن ينفث فيها الوسواس الخناس، فيؤيد الله المؤمن بالمَلَك"(6)، فهذا النص بني على تركيب الشرط الذي يؤدي دورا مهما في خلق حجاجية النص عبر تآلف جزئيه، وتجدر الإشارة إلى أن بعض النحاة عدُّوا جملة الشرط قسما رابعا من أقسام الجملة(7)، لكن الجمهور كان مع الرأي القائل بتقسيمها على قسمين وضم الشرطية إلى قسم الفعلية، وليس البحث ميدانا لبسط القول في الخلاف بين النحاة في تقسيم الجملة وما أراه من سبب لذلك؛ فقد بحثته مفصلا في موضع آخر(8)، أما تركيب الشرط نفسه المؤلف من فعل الشرط وجزائه فيكون جزء من الظاهر الذي يصل بالمتلقي إلى النتيجة المتوخاة من الخطاب؛ وفي النص السابق يشير النبي إلى أثر الوسوسة في قلب الإنسان، والقلب كما يظهر من استعمال العرب والقرآن أنه يعني ما يعنيه مصطلح العقل اليوم، والمضمر من النص يكمن في التساؤل الذي يمثل النص السابق إجابة عنه، وهو ماذا ننفعل يا رسول الله بإزاء وسوسة الشيطان؟، فكان المظهر هو النص السابق الذي يمثل حجة تقود المتلقي إلى نتيجة هي ضرورة التحلي بالإيمان للتخلص من وسوسة الشيطان.

ومن النصوص المبنية على تركيب الشرط والتي نستطيع دراستها على وفق مفهوم المساءلة، ما روي عن الإمام الصادق(ع)، من أن الشيطان يقول:" إذا استمكنت من ابن آدم في ثلاث لم أبال ما عمل فإنه غير مقبول منه: إذا استكثر عمله ونسي ذنبه، ودخله

(1) الشرح المختصر: 40/1، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 24.
(2) ينظر: شروح التلخيص: 1/ 167.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 2/ 234- 235
(4) ينظر: المصدر نفسه: 2/ 236.
(5) ينظر في ذلك: نظرية أفعال الكلام العامة: 122، و التداولية اليوم علم جديد في التواصل: 31.
(6) مجمع البيان: 10/ 498.
(7) ينظر: شرح المفصل:88/1 .
(8) ينظر في ذلك: بنى الحجاج في نهج البلاغة، دراسة لسانية: 171- 176.

العجبُ"[1]؛ فالحديث يذكر أن الشيطان يسيطر على الإنسان إن استكثر ما يؤديه من عبادات، والنص الإخباري بحسب مفهوم مايير للمساءلة يمثل إجابة عن سؤال مضمر، ولو حاولنا تقدير التساؤل المضمر لوقفنا على نصوص وتجليات متعددة له؛ إذ قد يكون من المفترض أن الجمهور تساءل عن حال الشيطان إن سيطر على الإنسان، أو أنه تساءل عن آفة استكثار الانسان عمله ونسيان ذنوبه وهو ما يوقعه في الرياء والعجب والتفاخر بالأعمال الصالحة وقد يأمن بسبب ذلك مكر الله تعالى وغير ذلك من الاسئلة المفترضة، التي تشكل عنصر صنع الخطاب الحجاجي .

ومن التشارط الحجاجي ما ورد عن الصادق(ع) أنه قال: "مَنْ لَقِيَ الْمُسْلِمِينَ بِوَجْهَيْنِ ولِسَانَيْنِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ولَه لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ"[2]، فالنص بني الشرط بـ(من) وهي تستعمل للعاقل جازمة لفعل الشرط والجزاء، ومفيدة لتعليق الجواب على الشرط في المستقبل[3]، فهذا التركيب بني إجابة عن تساؤل مضمر نستطيع أن نقدره بأنه ما حكم من يملك وجهين ولسانين بمعنى النفاق والخديعة؟، فجاء الخطاب مبينا أن مصيره بوجهيه ولسانه في النار.

ومن التشارط الحجاجي ضمن مفهوم المساءلة ما ورد في الحديث الشريف: "من ابْتُلِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِبَلَاءٍ فَصَبَرَ عَلَيْه كَانَ لَه مِثْلُ أَجْرِ أَلْفِ شَهِيدٍ"[4]، فالنص مثل إجابة ظاهرة عن تساؤل مضمر عن حال المبتلي بقضية ما وجزاء صبره عليها، وهو في هذا إقناع للمتلقي بضرورة الصبر على المكاره.

وهناك أمثلة وشواهد كثيرة أخرى في الأحاديث والروايات الشريفة يستطيع الباحثون العرب والمسلمون الإفادة منها في تقديم مقاربة لسانية متطورة لمفهوم المساءلة الحجاجية عبر استنطاق النصوص المختلفة، ومن ذلك دراسة مفصلة لمفهوم التشارط الحجاجي ضمن المساءلة والعلاقة بين التساؤل والشرط في التركيب الحجاجي.

الخاتمة

وفي ختام البحث أصل إلى جملة من النتائج منها أن الأحاديث والروايات الشريفة عن النبي(ص) وأهل بيته(ع) تمثل معينا لا ينضب من النصوص القابلة للدراسة على وفق مختلف المناهج اللسانية والفلسفية ولاسيما المعاصرة منها؛ إذ إنها تكشف عن عمق رؤاهم ومدى نبوغهم الفكري، ومن أهم المناهج الفلسفية التي ظهرت في الدرس اللساني مفهوم المساءلة التي تتجاوز ما تعارف عليه اللغويون والنحاة والبلاغيون من بدء الجملة أو النص بأداة استفهام؛ لتدرس مختلف النصوص، ومن أهم تلك التراكيب ما يتداخل فيه الشرط مع مفهوم المساءلة فالنص المبدوء بأداة شرط مع الجواب يمثل إجابة ظاهرة عن تساؤل مضمر وكلاهما يقودان بالضرورة إلى إقناع الجمهور بما يطرح عليه من مثل وقضايا تربوية يراد منه أن يلتزم بها، ويقترح الباحث في سياق ذلك دراسة تركيب الشرط ضمن مفهوم التساؤل على نحو مفصل عبر منهج تحليل الخطاب .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأربعون حديثا: السيد روح الله الموسوي الخميني، تعريب محمد الغروي، ط1، دار زين العابدين، لبنان، 2010م.
- الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع: الشيخ حسين آل عصفور البحراني، تحقيق محسن آل عصفور، مطبعة أمير، قم، د.ت.
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمُّود، منشورات كلية الآداب–منّوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د.ت.

(1) الخصال : 112.
(2) الكافي: 343/2.
(3) ينظر : المقتضب: 50/2، والتراكيب الاسنادية: 149.
(4) الكافي: 92/2.

- الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، الخطيب القزويني(ت739هـ)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي(ت774هـ)، تحقيق علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.
- بلاغة الإقناع في المناظرة: د. عبد اللطيف عادل، ط1، منشورات الاختلاف – الجزائر، منشورات ضفاف– لبنان، دار الأمان– الرباط، 2013م.
- بلاغة الخطاب وعلم النَّص: د. صلاح فضل، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، 1996م.
- بنى الحجاج في نهج البلاغة، دراسة لسانية: د.علي عبد الوهاب، ط1، دار نيبور، العراق، 2017م.
- التَّداولية اليوم،علم جديد في التواصل: آن روبول– جاك موشلار، ترجمة د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع دار الطليعة، بيروت، 2003م.
- التَّراكيب الإسنادية، الجمل الظرفية– الوصفية– الشَّرطية: د.علي أبو المكارم، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2007م.
- التعريفات: علي بن محمد، الشريف الجرجاني(816هـ)، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004م.
- تلخيص كتاب الجدل: ابن رشد(ت595هـ)، تحقيق د.تشارلس بترورث، ود.أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979م.
- الحجاج في البلاغة المعاصرة: د.محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008م.
- الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه: د. سامية الدريدي، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن، 2011م.
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: د.عبد الله صولة، ط2، دار الفارابي– بيروت، كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة، ودار المعرفة – تونس، 2007م.
- الحجاج، مفهومه ومجالاته: إعداد وتقديم د. حافظ إسماعيل علوي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن، 2010م.
- الخصال: أبو جعفر محمد بن علي القمي، الشيخ الصدوق(ت 381هـ)، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، ط2، منشورات جماعة المدرسين، قم– إيران، 1403هـ.
- الخطابة: أرسطو، ترجمة د.عبد الرحمن بدوي، دار الرَّشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1980م.
- الخطابة: أبو نصر الفارابي(ت339هـ)، تحقيق د.محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، 1976م.
- الخطاب الحجاجي، أنواعه وخصائصه: هاجر مدقن، ط1، منشورات الاختلاف – الجزائر، منشورات ضفاف– لبنان، دار الأمان– الرباط، 2013م.
- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: السيد علي خان الحسيني المدني الشيرازي(ت1120هـ)، تحقيق السيد محسن الأميني، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، 1407هـ.
- سيرة النَّبي(ص): أبو محمد عبد الملك بن هشام(ت218هـ)، تحقيق ودراسة مجدي فتحي السيد، ط1، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، 1995م.
- الشرح المختصر على تلخيص المفتاح: سعد الدين التفتازاني(ت791هـ)، ط1، مطبعة إسماعيليان، قم، 1425هـ.
- شرح المفصَّل: موفق الدين بن يعيش(ت646هـ)،عالم الكتب، بيروت، د.ت.

- شروح التلخيص: وهي مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، في الهامش الايضاح لمؤلف التلخيص وحاشية الدسوقي على شرح السعد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
- الشفاء: ابن سينا(ت427هـ)، تحقيق د.محمد سليم سالم، مراجعة د. إبراهيم مدكور، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1954م.
- كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: العلَّامة محمد علي التهانوي(ت القرن الثاني عشر الهجري)، تقديم وإشراف ومراجعة د.رفيق العجم، تحقيق د.علي دحروج، نقل النَّص الفارسي إلى العربية د.عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د.جورج زيناتي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.
- الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ت1094هـ)، قابله على نسخ خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه د.عدنان درويش، ومحمد المصري، ط2، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، 2005م.
- الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني(ت 329هـ)، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، ط3، دار الكتب الاسلامية، طهران، 1388هـ.
- كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج(رسائله نموذجا): د.علي محمد علي سلمان، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2010م.
- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور(ت711هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت568هـ)، تقديم السيد محسن الامين العاملي،ط1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1995م.
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: حسين النوري الطبرسي (ت 1320هـ)، تحقيق مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط1، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، بيروت، 1987م.
- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني(ت521هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط4، منشورات ذوي القربى، قم، 1425هـ.
- المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 1963م.
- من لا يحضره الفقيه: أبو جعفر محمد بن علي القمي، الشيخ الصدوق(ت 381هـ)، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، ط2، منشورات جماعة المدرسين، قم– إيران، د.ت.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي، تصحيح وتهذيب السيد أحمد الميانجي، ط4، منشورات دار الهجرة، قم – إيران، د.ت.
- نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات: جون لانكشتون أوستن، ترجمة عبد القادر قنيني، ط2، إفريقيا الشَّرق، الدار البيضاء– المغرب، 2008م.
- نظرية المعنى في الدراسات النحوية: الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي، ط1، دار صفاء، عمان، 2006م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي(ت911هـ)، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، 1992م.
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي(ت1104هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم – إيران، 1414هـ.